سؤال

الإيمان الأعمى

هل يبنى الإيمان على أدلة أم أنه تصديق بدون دليل؟

عمر مجدي حامد

ع | مطوية رقم (٣) | مسلسل رقم (١١٩) ٢٠١٨

مبادرات طابة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

سؤال

الايمان الأعمى

«هل يمكن الاستدلال على صحة المعتقدات الدينية؟ أليست هذه الأمور تؤخذ بالتسليم المطلق ولا دخل للدليل العقلي فيها؟!»

هذه الفكرة التي تدعو إلى كون الإيمان قراراً غير مبني على دليل تسمى بالقفزة الإيمانية

leap of faith

وهذا المصطلح مدين في نشأته في هذا السياق للفيلسوف الدنماركي المسيحي سورين كيركغارد.

فكونه دنماركيا يشير إلى أنه كان يعيش في عالم وسياق فكري مختلف عن العالم والسياق الفكري للمسلمين،

وكونه مسيحيا يشير إلى أن معتقداته التي يقفز إليها ليست هي

معتقدات المسلمين.

فكيركغارد نشأ في فترة كانت أوروبا قد فقدت الأمل في إمكانية الاستدلال على صحة معتقداتها بالعقل، ورأت أن العقل إما أن يصطدم مع نفسه وإما أن يصطدم مع معتقدات دينية مثل حلول الإله في جسد سيدنا عيسى مع احتفاظ الإله بماهيته، ومثل الإيمان بمفهوم المعجزة وإمكانية حدوثها.

موقف الفكر الإسلامي من القفزة الإيمانية

قيمة النظر العقلي والاستدلال عند علماء المسلمين

هذا فيما يتعلق بنشأة فكرة القفزة الإيمانية وتلقي المعتقدات بدون دليل، وكونها فكرة ناشئة بعيدا عن الفكر الإسلامي. أما ما يتعلق بموقف الفكر الإسلامي من هذه القفزة فهو معروف عند طالب العلم المبتدئ الذي درس متن جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم اللقاني، وهو متن يدرسه المبتدئون في العقيدة.

إذ كل من قلّد في التوحيد إيمانه لم يخلُ من ترديد

والتقليد هو أخذ القول بغير دليل. فالإمام اللقاني يقول إنَّ كل من بنى إيمانه على غير دليل بنى إيمانه على أصل ضعيف يجعله قابلا للتردد في إيمانه.

وطرح العلماء الأسئلة حول إيمان هذا المقلد، فقال بعضهم:

① أن كل مقلد في الاعتقادات عاصٍ.

② وقال غيرهم وهو الرأي المشهور عند أهل السنة أنه يكون عاصيا إن كانت عنده القدرة على النظر العقلى، ولا يكون عاصيا إن لم تكن عنده هذه القدرة.

وبذلك نتوصل إلى أن الإنسان الذي لديه قدرة على معرفة الدليل على صحة اعتقاده يجب عليه أن يعرفه وإلا أثم، ولم يكتف العلماء بجعل معرفة العقائد بالدليل من الواجبات الدينية، بل عدوه أول الواجبات.

كذلك نجد ملمح الاستدلال والبرهان في كتاباتهم ومنها:

يقول الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى (يهدي به الله) أي بالكتاب المبين من اتبع رضوانه من كان مطلوبه من طلب الدين اتباع الدين الذى يرتضيه الله تعالى. فأما من كان مطلوبه من دينه تقرير ما ألفه ونشأ عليه وأخذه من أسلافه, مع ترك النظر و الاستدلال، فهو غير متبع رضوان الله تعالى.

وهـذه الأقـوال للأئمـة ليسـت بأقـوال جديـدة ناشـئة عـن ردة فعـل للهجـوم الـذي يتعـرض إليـه الديـن مـن كـون أتباعـه يؤمنـون بـه إيمانـاً أعمـىً مخالفـاً للعلـم والعقـل، بـل هـي أقـوال ترجـع إلى قرون ماضية .

في القرآن

ذم الخطـاب القـرآني تلقـى المعتقـدات بالتقليـد دون نظـر عقـلي وإقامـة حجـج وبراهـين ومـن ذلـك قولـه تعـالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ سُورَةُ البَقَرَة

وقوله تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ سُورَةُ المَائِدَة

ولم يكتفِ القرآن بذم التقليد فقط بل أشار إلى الدليل العقلي فأشـار سـبحانه وتعـالى إلى الدليـل عـلى وحدانيتـه ووجـوب وجـوده بالقيـاس فقـال:

لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ سُورَةُ الأَنبِيَاء

وقوله تعالى :

أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ سُورَةُ الطُّورِ

الخلاصة

مفاهيم القفزة الإيمانية والإيمان الأعمى هي مفاهيم لا تمت للفكر الإسلامي بصلة، وقد تبين أنها نشأت في بيئة غريبة عن الإسلام وأهله. وبهذا يتأكد أن الإسلام لا يدعو الإنسان لترك عقله في رحلة البحث عن الإيمان والدين الحق، بل يوجب عليه البحث والنظر العقلي المجرد والتحرر من التقليد.

رسالة إلى كل باحث عن الحقيقة

الحقيقة لا تخشى البحث، والرحلة الإيمانية لا يمكن أن تبنى على ظنون وأوهام، وحتى يكتمل إيمان الإنسان لابد أن يقوم هذا الإيمان على أدلة قوية وبراهين تقطع في النفس كل شبهة، فيسير الإنسان إلى ربه على بصيرة، فيتحقق بمعرفته التي يكون بها سعادة الدنيا والآخرة.

Suaal.org

facebook.com/suaalorg

twitter.com/suaalorg

youtube.com/suaalorg

instagram.com/suaalorg

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org

دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH

مبادرة سؤال هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات